الباب الثالث

من ولادة الكيانية الوطنية - الفدائية إلى أوسلو

يمكننا الاستنتاج بيسر أن انطلاق العمل الفدائي الفلسطيني وانتشار مقولة حرب الشعب طويلة الأمد، المستقاه من التجارب الصينية، الفيتنامية، الجزائرية، إنما انطوت على خلفية، بأن الحرب النظامية الخاطفة، كعقيدة عسكرية لجيوش الأنظمة العربية الوطنية، ليست مضمونة النتائج. ومثل هذه الرؤية طورتها فصائل المقاومة الفلسطينية بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، بصرف النظر عن معوقات الظرف الموضوعي، وما آلت إليه المسيرة الفلسطينية في العقدين الأخيرين، سيما تاكتيك الانتفاض الشعبي في آواخر الثمانينات، والذي أعاد إنتاج نفسه بابداعيه أقل ومشاركة جماهيرية أقل في سنوات ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢، والخيار التفاوضي الذي أفضى لأوسلو بنتائجها المعروفة، وبالتالي لم يتبق من نظريات حرب الشعب وحرب العصابات إلا النزر القليل دون نسيان العدوان الواسع على غزة والصمود البطولي الجماعي أوائل/ ٢٠٠٩.

وتتقاطع تجربة فتح في بداياتها مع التجربة الكوبية من ناحية نموذج البؤرة المقاتلة التي تروج دعايتها السياسية من خلال عملياتها العسكرية المتصلة، فيما تجربة الجبهة الشعبية كانت أقرب للتجربة الفيتنامية، أي بنية حزبية محدودة هي امتداد حركة القوميين العرب في فلسطين، تولت انتاج فصيلة مسلحة من خلال الممارسة والدورات النظرية. ولكن بعد سنوات قليلة تغلبت المشتركات وتقلصت الفوارق إلا من الناحية الأيدولوجية ودمقرطة المؤسسة الفلسطينية.

والأمر نفسه ينطبق على الفصائل الوطنية الأخرى، سواء نتجت عن تفاعلات محلية أو احتضنتها منذ البدايات أحزاب وأنظمة قومية، سيما في سوريا والعراق.

أما حزب التحرير الإسلامي والإخوان المسلمون والحزب الشيوعي، فلم ينخرطوا في المقاومة المسلحة، وإن جرت محاولة مؤقتة هي قوات الأنصار التي رفدتها أربعة أحزاب شيوعية عربية عام ١٩٧٠ ولكنها تبعثرت وتبخرت بعد مذابح أيلول من العام نفسه في الأردن.

وذات الشيء يقال عن جيش التحرير الفلسطيني الذي اصبح متأثراً بهذا القدر أو ذاك بسياسات الأنظمة التي يتواجد على جغرافيتها. أما محاولته مجاراة فصائل المقاومة بتأسيس قوات تحرير فلم تستمر سوى بضع سنوات.

فارهاصات العمل الفدائي قبل ٦٧ تحولت لمقاومة مسلحة كخيار وخط سير بعد ٦٧ وباتت تطبع الهوية الوطنية وتعيد نظم وتأطير وتربية الشعب الفلسطيني.